"حماس ستواجه مشاكل اذا لم يتحقق وقف النار وانتخابات الأردن صفحة جديدة لتطويره"

الملك عبدالله لـ"الحياة": بوش قادر على تحقيق السلام و"القلعة الحصينة" لاسرائيل فشلت

□ الشونة (الأردن) - «الحياة»

■ حذر العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني من ان حركة «حماس» ستواجه مشاكل اذا لم يتحقق الاتفاق المعروض عليها لوقف النار، وقال: «لدى اسرائيل قائمة (للاغتيالات) وستضرب القيادات». وشدد في حديث الى «الحياة» على ان الرئيس جورج بوش قادر على تحقيق السلام بين الفلسطينيين واسرائيل، مشيراً الى ان واشنطن «تريد نزع فتيل» الصراع في المنطقة. واعرب عن اقتناعه بأن رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) قادر على اقناع الفصائل الفلسطينية بهدنة مع اسرائيل، لافتاً الى ان «سياسة القلعة الحصينة اثبتت فشلها» بالنسبة الى الدولة العبرية.

ورداً على سؤال هل يؤيد عودة الملكية الى العراق، قال الملك عبدالله: «نقبل ما يقبله الشعب العراقي الشقيق». ووصف الانتخابات النيابية الاخيرة في الأردن بأنها «صفحة جديدة لتطويره»، لافتاً الى ان الحركة الاسلامية «ساهمت في الحفاظ على أمن الأردن واستقراره»، ومشدداً على ان ٩٩ في المئة من نتائج الانتخابات صحيح، على رغم الشكاوى.

■ هنا نص الحوار الذي اجرته «الحياة» مع العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني على هامش المؤتمر الاستثنائي للمنتدى الاقتصادي العالمي في الأردن.

● هل تعتقدون ان «خريطة الطريق» ستنفذ؟

– «خريطة الطريق» ستنفذ، قد تمشي بصعوبة إلا انها «راح تمشي»، اذ لا بديل لها. للمرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة هناك رئيس اميركي يقول نريد دولة فلسطينية خلال ثلاث سنوات، ونريد التزامات من الفلسطينيين والتزامات من الاسرائيليين. وهناك اجماع عالمي لم نره منذ ٣٠ سنة على دعم قضية فلسطين مع التزام من رئيس اميركي «دغري» ليس عنده يمين أو يسار. واذا حدث «لعب» من الاسرائيليين فهو سيضغط عليهم، وعندما كنا في العقبة قلت للرئيس بوش ان اربيل شارون «صعب شوية»، وقال انه أقوى وقادر على ان ينهي المشكلة. وليست عند الرئيس مشكلة مع اليهود الاميركيين (هذا رداً على مقاطعة من «الحياة») فبعضهم يؤيد موقفه، ثم انهم لن يصوتوا للجمهوريين في الانتخابات مهما حدث فغالبيتهم العظمى من الديموقراطيين... يظل السؤال موقف اسرائيل وهل هناك شفافية. اعتقد ان الاميركيين يعرفون الوضع وسيلزمون شارون بالحل.

كان اجتماع باول مع «أبو مازن» وحكومته ممتازاً، وهو قال لي انه عاد جندياً يدرس الخريطة مع «أبو مازن»، ويحددان اين يوضع هذا الجندي أو ذلك الشرطي.

● تعارض «حماس» حتى الاتفاق المعروض عليها لوقف النار. هل الاتفاق الفلسطيني – الفلسطيني ممكن؟

– هناك تشويش، وهو احياناً يخرب الأمور. لكن الاتفاق يجب ان يتم، و«حماس» ستواجه مشاكل اذا لم يتحقق. فاسرائيل لديها قائمة (للاغتيالات) وستضرب القيادات. الأمر ليس بهذه السهولة، وقادة «حماس» في الخارج يقولون يجب ان نمضي في الجهاد، لكن قادة الداخل عليهم ضغط رهيب، وهم يبحثون، كما اعتقد، عن آلية للتوصل الى اتفاق.

● دخلنا عليكم وكبار المسؤولين المشاركين خارجين من اجتماع معكم حول منطقة التجارة الحرة. كيف تقوّمون الوضع؟

– الاجتماع كان ايجابياً جداً، وإقامة منطقة التجارة الحرة مع الولايات المتحدة تحتاج الى جهد كبير من الدول العربية. نحن في بلدنا غيّرنا القوانين وطورنا الموقف الاجتماعي والاقتصادي داخل البلد. والتعاون بين الدول العربية مكسب لها جميعاً، لأنها ليست كلها على علاقة طيبة بالولايات المتحدة. الوزير التونسي نوري جويني تحدث في شكل ممتاز، وسمعنا تخوفاً من هنا وهناك. لكن الإدارة الاميركية متحمسة للمشروع وتريد اعطاء الشباب في المنطقة، حيث ٥٠ في المئة من السكان دون سن الثامنة عشرة، فرصة للعمل والتقدم.

● عشر سنين اليست مدة طويلة لإقامة منطقة التجارة الحرة؟

– يمكن عقد اتفاقات ثنائية ثم اتفاق جماعي. بعض الدول مثل البحرين لا مشكلة معها. المغرب خلال سنة، لكن هناك دولاً اخرى تحتاج سنوات قبل ان تنجح في تغيير نمط اقتصادها. الوضع في الخليج أسهل منه في غيره.

بوش والسلام

● نعود الى «خريطة الطريق». هناك مسؤولون عرب كثيرون، بينهم أردنيون، اكدوا انهم رأوا في شرم الشيخ والعقبة جورج بوش غير الذي يعرفون. فهل تعتقد أن الرئيس الاميركي قادر على تحقيق السلام بين الفلسطينيين واسرائيل؟

– بالطبع... جدد الرئيس بوش خلال لقاء العقبة التزامه الشخصي تحقيق السلام في الشرق الأوسط واقامة دولة فلسطينية مستقلة... اميركا اليوم تريد تجفيف كل المنابع التي تؤدي الى عدم الاستقرار في المنطقة، وبما ان القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع واساس عدم الاستقرار، تريد اميركا نزع هذا الفتيل الذي يشتعل بين فترة وأخرى.

اعتقد ان الرئيس بوش ملتزم بالتوصل الى السلام، خصوصاً ان هناك الكثير من الإشارات الايجابية التي تؤكد ان اميركا جدية هذه المرة في تحقيق السلام.

● وهل يستطيع بوش انجاز ما عجز عنه كل رئيس اميركي سبقه منذ السبعينات، ومع وجود مجموعة كبيرة من الصقور المؤيدين لاسرائيل في ادارته؟

النظر عمن يحكم في البيت الأبيض.

● الرئيس بوش يثق بكم ويصغي الى نصحكم، ولكن هل تعتقدون ان شرط الأمن الكامل ممكن، أم انه شرط تعجيزي يصلح كعذر اذا فشلت «خريطة الطريق»؟

– موضوع الأمن مهم جداً ولا بد من تهيئة الأرضية والمناخ الملائم لاستئناف المفاوضات، من خلال توفير الأمن للجانبين الفلسطيني والاسرائيلي، وبالدرجة الأولى للفلسطينيين. وعلمت ان الفلسطينيين ابلغوا الجانب الاسرائيلي في الاجتماع الأمني الأخير استعدادهم لنشر قوات فلسطينية في المناطق التي ينسحب منها الجيش الاسرائيلي لتامين الأمن للجانبين، واعتقد ان هذه خطوة مهمة في بناء الثقة بينهما.

المسألة اذا تحتاج بداية لبناء الثقة، فإذا توافرت الأرضية الملائمة، فإن كل المواضيع الاخرى بما فيها شرط الأمن سيتحقق. اجتماع اللجنة الرباعية في البحر الميت شكل انطلاقة مهمة لتطبيق خطة «خريطة الطريق».

● هل يستطيع «أبو مازن» اقناع الفصائل الفلسطينية بهدنة مع اسرائيل؟ هل هناك دور للأردن في هذه المفاوضات؟

– نعم يمكنه القيام بذلك، ولكن قبل هذا على اسرائيل ان تبدأ بخطوات جدية مثل وقف الاغتيالات وإلغاء العقوبات الجماعية ووقف تدمير المنازل.

نحن في الأردن ليس لنا دور في موضوع الحوار الفلسطيني – الفلسطيني، لكننا نشجعه وندعم كل موقف يؤدي الى تلاحم الشعب الفلسطيني وبناء موقف فلسطيني موحد ازاء كل الأمور التي تتعلق به.

● هل تشعرون بأن شارون يريد سلاماً مقبولاً، أم انه ينتظر ان يدمر الفلسطينيون عملية السلام مرة اخرى؟

– سياسة القلعة الحصينة أثبتت فشلها بالنسبة الى اسرائيل، فالاحتلال لم يوفر لها الأمن ولم يجلب لها الإزدهار والرفاه، بل العكس... الاقتصاد الاسرائيلي يواجه اليوم اسوأ كارثة منذ عقود، والرعب والخوف اللذان يشهدهما المجتمع الاسرائيلي لم يمر بهما منذ عقود خلت.

الملك عبد الله الثاني.

هناك حقيقة لا بد ان ندركها جميعاً، هي ان الجميع مل الحروب وسياسة العنف. حتى شارون الذي رفض كل محاولات السلام سابقاً اعترف اخيراً بأن الوجود الاسرائيلي في الأراضي الفلسطينية هو احتلال... هذه خطوة مهمة ولو انها جاءت متأخرة. لكن الجميع يدرك الآن ان لا سلام ولا أمن ولا استقرار ولا رفاه من دون زوال الاحتلال.

الخلافات العربية - العربية

● سمعت ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز يقول يوماً انه لو اتفقت أربع دول عربية لاستطاع العرب حماية حقوقهم. ما سر تفاقم الخلافات العربية – العربية؟ وهل يبذل الأردن جهداً لبناء موقف عربي موحد من عملية السلام أو العراق؟

– لا اتفق معك على أن الخلافات العربية – العربية تفاقمت... فكل الدول العربية لها موقف واحد من عملية السلام. الجميع يدرك ضرورة دعم جهود السلام الحالية، فلا خلافات بالنسبة الى موضوع «خريطة الطريق»، وكما تعلم، طالبت سورية ولبنان بخريطة طريق للمسارين السوري واللبناني، ما يؤكد ان الجميع يدعم خطة «خريطة الطريق». أما بالنسبة الى العراق فكل الدول العربية لا تقبل احتلاله، وتدعو الى انسحاب سريع لقوات التحالف وتشكيل حكومة وطنية عراقية باقصى سرعة لتتولى شؤون الشعب العراقي وزمام الأمور في العراق... والأردن دائماً يعمل من اجل بناء موقف عربي موحد تجاه القضيتين العراقية والفلسطينية لأننا نؤمن بأنه من دون موقف عربي واضح ومحدد وموحد لا يمكن ان نتوصل الى موقف ايجابي في شأن هاتين المسألتين.

● ما رأيكم في ما يحدث في العراق الآن؟ كلنا طلب ذهاب صدام حسين، ولكن هل تشعرون مثلنا بأن الاميركيين خططوا للحرب، ولم يخططوا للسلام؟

– ذكرت في مقابلات سبقت الحرب على العراق ان المهم في الأمر ليس ان تكسب الحرب بل ان تكسب السلام، وآمل بأن لا يكون الاميركيون خططوا وعملوا من أجل السلام في العراق.

● هل أنتم قلقون على مستقبل العراق؟ هل تحاولون التوسط أو التدخل لدى الاميركيين أو مباشرة مع أطراف عراقية؟ هل تؤيدون عودة الملكية الى العراق؟

– انا قلق من المعاناة التي يمر بها الشعب العراقي نتيجة الفوضى وعدم الاستقرار، لكنني مؤمن بأن هذا الشعب عريق وواعٍ، واذا منح الحرية في تقرير مصيره وشكل الحكم يستطيع تحقيق مستقبل افضل. وبالنسبة الى موضوع عودة الملكية، فنحن نقبل ما يقبله الشعب العراقي الشقيق.

● هل جاءت نتائج الانتخابات النيابية في الأردن كما توقعتم؟ هل تجدون فيها اسباباً للتفاؤل أو خيبة الأمل؟

– نعم، كانت النتائج بحسب التوقعات وأنا متفائل بالمستقبل. فبناء المستقبل لا تصنعه الحكومات بل الشعوب، ومجلس النواب الجديد يمثل كل أطياف المجتمع الأردني وسنعمل معاً لتطوير مستقبل الأردن لنا وللأجيال المقبلة.

● سمعت في عواصم عربية انه لو جرت انتخابات ديموقراطية مئة في المئة في أي بلد عربي لفاز الاسلاميون. هل توافقون على هذا الرأي؟ وهل هو صحيح بالنسبة الى الأردن؟

– دعني أحدثك فقط عن الأردن حيث سارت العملية الانتخابية بكل يسر وسهولة، وترشح من قبل الحركة الاسلامية ٣٠ مرشحاً فاز أكثر من نصفهم بعضوية المجلس، واعتقد ان هذا الأمر يعبر تعبيراً دقيقاً عن الواقع الأردني.

ان الحركة الاسلامية في الأردن جزء اساسي من نسيجه الاجتماعي، وهي ساهمت في الحفاظ على أمن الأردن واستقراره، وهي حركة منظمة وواقعية، تدرك حدودها وحجمها... وما لها وما عليها. صناديق الاقتراع هي التي تكشف قوة هذا الحزب أو ذاك التيار، وهو بالفعل ما عكسته الانتخابات النيابية اخيراً في جو من الحرية والنزاهة والديموقراطية شهد له الجميع.

صفحة جديدة

● الانتخابات انتهت بسلام وبمشاركة عالية، ويفترض ان تستقيل الحكومة، ويحل مجلس الأعيان، لتشكيل مجلس جديد. هل سنرى عملاً في مجال التنمية السياسية التي تحدثتم عنها؟ وهل تجدون صعوبة في العثور على رئيس وزراء جديد يملك المواصفات التي تبحثون عنها؟

– الانتخابات بداية وصفحة جديدة لتطوير الأردن وتحقيق التنمية السياسية. قطعنا شوطاً في ذلك، وامامنا الكثير لنعمله لتحقيق التنمية السياسية الشاملة... ولكن قبل ذلك، نريد أحزاباً قوية، أحزاباً لها برامج اقتصادية وسياسية واجتماعية تعطي الأردن أولوية في كل ما تطرحه. واذا تمكنا من بناء ثلاثة أو أربعة أحزاب أردنية قوية، ونكون ضعنا أقدامنا على الطريق الصحيح نحو تحقيق التنمية السياسية الشاملة. وبالنسبة الى مسألة تشكيل حكومة جديدة، أو البحث عن رئيس وزراء جديد، سينظر في الأمر في حينه.

● حدثت بعد الانتخابات تظاهرات وترددت شكاوى. كيف تفسرون ذلك؟

– هناك مناطق وعشائر، والواحد يغضب إذا خسر وفاز اخوه أو جاره. سمعت انه حدثت مخالفات في الكرك ورجال الأمن العام امسكوا المخالفين وأحالوهم على المحكمة. عندما يكون الفرق في منطقة ٣١ صوتاً أو مئة صوت لا بد ان يكون احتجاج. وهناك لجنة الطعون التي ستدرس كل الاعتراضات والشكاوى، مع ثقتي بأن ٩٩ في المئة من الانتخابات صحيح. وبعض الذين احتجوا قالوا ان لجنة من النواب الذين استفادوا من الانتخابات لا تفيد ولن تطلع بنتيجة، لذلك طلبت من وزارة الداخلية ان تدرس الوضع وتراجع الأرقام واذا كان هناك «لعب»، تقرر.

مرة اخرى، وبالنسبة الى التعديل الوزاري، انا رجل عسكري وأحب ان يسير كل شيء خطوة خطوة، أولاً هدفي افتتاح البرلمان في أول ايلول (سبتمبر) ثم يكون لكل حادث حديث.

● هناك مشاكل اقتصادية مزمنة في الأردن، لكن اقتصاده تحسن كثيراً، وربما كان الأفضل أداء في الشرق الأوسط السنة الماضية. هل تعتقدون ان هذا التحسن سيستمر، أو انه من انعكاسات الحرب على العراق، والمساعدات الخارجية، خصوصاً الأميركية؟ هل تتوقعون ان تستمر المساعدات بحجمها الحالي، أو تنقص أو تزيد، وكيف سينعكس ذلك على أداء الاقتصاد؟

– شهد الاقتصاد الأردني خلال السنوات القليلة الماضية مزيداً من التطور، وتمكنا من تجاوز الاختلالات التي أعاقت نموه. بدأ هذا الاقتصاد خلال السنوات الثلاث الأخيرة يتعافى، وحققنا نمواً تجاوز خمسة في المئة... هذا مؤشر ايجابي الى اننا نسير على الطريق، لكن المشكلة ان الناس لا تشعر بتحسن الاقتصاد ومعها كل الحق في ذلك.

في ما يتعلق بموضوع المساعدات بدأنا نركز على الاعتماد على انفسنا، لكن هذا لن يأتي بين ليلة وضحاها، وسنبقى نعتمد على المساعدات موقتاً حتى يتخلص اقتصادنا من كل الاختلالات.

نحاول الآن زيادة المشاريع التي توفر فرص العمل وتزيد نسبة الصادرات. الاقتصاد، أي اقتصاد في العالم، مرتبط بالاستقرار، واقتصادنا واجه أزمتين واحدة في الغرب واخرى في الشرق، ولا شك في ان تأثيرهما كان قوياً، اذ فقدنا مصدراً مهماً لواردانا من النفط الذي كنا نحصل عليه من العراق بأسعار تفضيلية. كما ان الوضع الأمني في الأراضي الفلسطينية حرم الأردن والمنطقة في شكل عام من أهم مصدر للدخل. وللمناسبة أود ان أشكر للسعودية والإمارات والكويت تزويدها الأردن بالنفط، ما خفف كثيراً وطأة التي كانت ستحدث بفقدان النفط العراقي.

الإعلام العراقي الجديد واعد على رغم إزدحاميته وحزبيته

سامي شورش *

■ حينما انهار النظام العراقي السابق تحت وطأة الهجمات الاميركية في التاسع من نيسان (أبريل) الماضي، إنهارت معه المؤسسات الاساسية للحكومة العراقية وفي مقدمها المؤسسات والمرافق الاعلامية التي كانت تحتل موقعاً أساسياً في بنيانها. فيما الحال على هذه الشاكلة، ظل العراقيون لنحو شهرين، قبل الحرب وبعدها، محرومين من قراءة الصحف ومتابعة الأخبار بسبب انقطاع التيار الكهربائي، وإنهيار النظام الذي جمع في قبضته الصحف والإذاعات ومحطات التلفزيون، إضافة الى انفلات الحال الأمنية وتزايد عمليات النهب والسلب.

في ما بعد لم يضف قرار الحاكم المدني الاميركي بول بريمر إلغاء وزارتي الدفاع والاعلام العراقيتين أي جديد على واقع حال قائم: إنحلال الجيش وإنهيار المؤسسات الاعلامية.

والواقع أن انهيار المؤسسات الاعلامية العراقية، على رغم الاضرار المادية التي نجمت عنه، لم يؤشر الى تطور سلبي كما كانت الحال مع انهيار الجيش الذي غيب عن البلد أحد أهم أركانه السيادية. فالمؤسسات الاعلامية اشتهرت طوال العقود الثلاثة الماضية في ظل النظام السابق بكونها إحدى أكثر المرافق اختناقاً بثقافة السلطة وأيديولوجيتها وبروح تزمّتها ووحدانية توجهها وعزلتها الفكرية والثقافية عن العالم.

لهذا، بادرت الاحزاب العراقية (المعارضة) التي دخلت بغداد في الأيام الأولى لسقوط النظام العراقي الى اصدار صحفها ومطبوعاتها. وبغية تمييز نفسها عن الحال الثقافية والاعلامية السابقة، حرصت هذه الأحزاب على إعطاء هامش من الحرية لصحفها ونشاطاتها الإعلامية. والأرجح أن السبب الرئيسي الذي ساعد الأحزاب في سرعة إعادة اصدار صحفها من بغداد تمثل في الكميات الكبيرة من ورق الطباعة التي توافرت في العاصمة، إضافة الى وجود معمل لتصنيع الورق في جنوب العراق. فالنظام السابق لم يشتهر بتكديس الأسلحة والعتاد الحربي فقط، بل إشتهر أيضاً بحرصه على تكديس ورق الصحف وإقامة المطابع المتطورة والمؤسسات الاذاعية والتلفزيونية. وكان في هذا التصرف أميناً لطبيعته الشمولية التي تعتبر الإعلام أداة اساسية في حروبها الداخلية والخارجية.

لهذا شهدت بغداد بعد مضي الشهر الاول على إطاحة النظام السابق صدور بعض الصحف، وفي مقدمها صحيفة «التآخي» لسان حال الحزب الديموقراطي الكردستاني و«الاتحاد» (الاتحاد الوطني الكردستاني) و«طريق الشعب» (الحزب الشيوعي العراقي)، إضافة الى صحيفة «الساعة» (الحركة الوطنية العراقية الموحدة). وأكثر هذه الصحف اسبوعية أو نصف اسبوعية.

والواقع أن هذه الصحف التي حملت معها جواً لم يألفه العراقيون منذ نحو نصف قرن، لاقت رواجاً كبيراً في ظل الحرمان الثقافي والاعلامي الذي عانى منه العراقيون. كذلك في ظل تعطشهم الى متابعة الأخبار ومعرفة ما يمكن أن يؤول اليه مصير بلادهم وأحداثها. واللافت أن صحيفة «التآخي» التي صدرت للمرة الأولى بعد اتفاقية آذار (مارس) عام ١٩٧٠ بين الحكومة العراقية والزعيم الكردي المرحوم مصطفى بارزاني، تصدرت سوق الصحف العراقية من ناحية الرواج، خصوصاً بعد أن تحولت الى صحيفة يومية. معروف أن السلطات العراقية أغلقت «التآخي» في حينه واستولت على مطبعتها مطلع عام ١٩٧٤ اثر إنهيار اتفاقية آذار وعودة القتال الى كردستان العراق. لكن الإدارة الجديدة للصحيفة استطاعت بعد إنتهاء الحرب استعادة المطبعة والافادة منها في تحويل «التآخي» الى صحيفة يومية بعدما صدرت أعدادها الأولى في الدورة الجديدة في شكل نصف اسبوعي. والأرجح أن تولي الكاتب والصحافي الكردي العراقي فلك الدين كاكائي، وهو أحد ألمع الصحافيين الكورد، رئاسة تحريرها، عكس تأثيراً واضحاً على فسحة الحرية التي تتميز بها «التآخي». في الوقت عينه، أخذت صحيفة «الزمان» اللندنية وصاحبها الاعلامي العراقي سعد البزاز بتوزيع طبعة عراقية لاقت بدورها رواجاً كبيراً.

الى ذلك، بدأت الأحزاب والمنظمات السياسية التي عادت من الخارج بإصدار صحفها. وعلى رغم غلبة طابع التنافس الحزبي على صحف الأحزاب، فإن البعض منها يتميز بحرص واضح على توفير مساحة كافية لتعددية الأراء والتنوع الفكري. ومن هذا البعض تصح الاشارة الى صحيفة «نداء المستقبل» التابعة لحركة الوفاق الوطني العراقي و«المؤتمر» الناطقة بلسان المؤتمر الوطني العراقي. يذكر أن المؤتمر الوطني دأب على اصدار صحيفته في لندن. لكن بعد عودة قيادته الى بغداد نقلت الصحيفة الى العاصمة العراقية. أما حركة الوفاق التي اشتهرت بصحيفتها المركزية «بغداد» فإنها بدأت بإصدارها بحلة جديدة وبإسم جديد «نداء المستقبل».

الى هذه الصحف، تشهد بغداد صدور صحف حرة، لكن محدودة القدرة المالية والفنية. ومن أبرز هذه الصحف «القبس» و «العراق الجديد».

عدا الصحف والوسائل الاعلامية الحزبية والحرة، يلاحظ بروز نوع جديد من الاعلام في العراق يذكر بالسنوات التي أعقبت احتلال العراق من قبل القوات البريطانية بعد الحرب العالمية الأولى. وهذا النوع هو الوسائل الاعلامية التابعة للقوات الأميركية.

معروف أن الأميركيين أولوا منذ الاشهر التي سبقت الحرب، اهتماماً واضحاً بتشغيل كوادر اعلامية عراقية بغية تأهيلهم لتسنم المسؤوليات الاعلامية في عراق ما بعد الرئيس السابق صدام حسين. وبعدما أحكمت القوات الاميركية قبضتها على بغداد، نقل الاميركيون هذه الكوادر الى بغداد لتشغيل بث اذاعي باللغة العربية تابع لسلطة التحالف الموقتة. لكن الاذاعة لم تستطع تجهيز مادة اعلامية كافية لبث طويل، واكتفت بتهيئة مواد ساعة بث واحدة، وجلّها بلاغات عسكرية وتعليمات أمنية ومقابلات مع ضباط وجنود أميركيين ممن يتقنون اللغة العربية. واللافت أن القائمين على الاذاعة يضطرون الى اعادة بث هذه المواد على مدار اليوم.

الى ذلك اتفق الاميركيون مع الحزبين الكرديين على بث تلفزيوني يومي لفترة ساعتين من قنواتهما التلفزيونية الفضائية في أربيل والسليمانية. كما بدأوا بإصدار صحيفة بإسم «الصباح» تصدر مرتين في الاسبوع. الى ذلك تدعم الاوساط الرسمية الأميركية، خصوصاً في وزارة الخارجية، صحيفة اسبوعية أخرى إسمها «سومر»، وكانت تصدر في مراحلها الأولى في الكويت، ثم انتقلت لاحقاً الى بغداد.

واللافت أن قنوات تلفزيونية اقليمية، ومنها قناتي «سحر» و«العالم» التلفزيونيتين الايرانيتين اللتين تبثان باللغة العربية طفتا على الشارع العراقي في الأسابيع الأولى لمرحلة ما بعد صدام حسين. لكن بعد ظهور الوسائل الاعلامية العراقية وإنتهاء فرض موجات تشويشية على الاذاعات الاجنبية ودخول صحف عربية الى العراق ومنها صحيفة «الحياة»، تقلصّ الى حد كبير مساحة الانتشار أمام القناتين الايرانيتين، خصوصاً بعدما أخذ الحزبان الكرديان العراقيان، الديموقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني ببث تلفزيوني باللغة العربية من تلفزيوناتهما الفضائية الى بقية مناطق العراق.

لهذا قد يصح القول إن وفرة ورق الطباعة ليست الدافع الوحيد لإزدحام الساحة الإعلامية العراقية بالصحف والمنشورات. بل هناك أيضاً لهفة العراقيين لمتابعة الاخبار عن الأوضاع الأمنية والمستجدات اليومية على صعيد تشكيل الحكومة العراقية المقبلة والمشكلات، اسباب تدعو لإزدحام الأسواق والأرصفة العراقية بكمّ كبير من الصحف والمطبوعات. يقدر البعض أن عددها أصبح يتجاوز سبعين صحيفة. لكن الأصح أن العراقيين الذين عرفوا بنهمهم للقراءة، تواقون لإعادة الحرارة الى حياتهم الثقافية والسياسية بعدما خرجوا من دهليز ثقافة العزلة التي غذتها السلطة في افكارهم وأرواحهم. ولا أدل على هذه الحال من الإشارة الى قيام الحوزة العلمية (الشيعية) في النجف بإصدار صحيفتها الخاصة بإسم «الحوزة». واللافت أن الهموم الأساسية لهذه الصحف تتركز على نقاط محددة: تغطية النشاطات الحزبية ومتابعة أخبار الحال الأمنية والتأكيد على مطالبة قوات التحالف بالإسراع في تشكيل الحكومة العراقية الانتقالية. هذا، إضافة الى حرصها على نشر تحقيقات عن الممارسات القمعية للنظام السابق وتخصيص مساحة جيدة لمقالات الرأي والتعليقات السياسية، خصوصاً في ميادين تتعلق بمستقبل العراق. واللافت أيضاً، تراجع الاهتمام العراقي بأخبار العالم العربي ومشكلاته وصراعاته وقضاياه، بما فيه القضية الفلسطينية.

عراقيون امام صحف معروضة على الرصيف.

لا يعني هذا الكلام خلو الصحف ووسائل الاعلام العراقية من انتقادات موجهة الى قوات التحالف الغربي وسلطتها الاحتلالية. لكن اللافت أن هذه الإنتقادات تقتصر على طبيعة السياسات الأميركية إزاء تشكيل الحكومة العراقية المقبلة وطرق معالجة الأميركيين لحال الفوضى التي ما زالت قائمة في الشارع العراقي. كما أن بعضاً من هذه الصحف والوسائل الاعلامية، خصوصاً الكردية التي تنطق بالعربية، لا تخفي إمتنانها للقوات الأميركية على «تحرير» العراق.

للإذاعات المحلية والعربية والأجنبية سوقها، كذلك للفضائيات العربية والاجنبية، خصوصاً بعد انتشار ظاهرة الأطباق الفضائية وعودة التيار الكهربائي الى حال شبه طبيعية. لكن المشكلة أن الإذاعة ومحطة التلفزيون اللتين تديرهما قوات التحالف، عبر اعلاميين عراقيين عادوا مع القوات الاميركية، تعاني من تابعيتها للعسكر الأميركيين، ومن سيطرة أولئك الاعلاميين الذين قضوا سنوات طويلة في أوروبا. فالجيش اياً كانت تابعيته وطبيعته، يظل جاهلاً بطريقة التعامل السويّ مع المادة الإعلامية، فيما الاعلامي الذي قضى جل سنوات عمره وسط مجتمع مختلف عن مجتمعه، أياً يكن إتقانه للغات اجنبية أو معرفته بثقافة الاعلام الغربي، يظل عاجزاً عن التعامل الحيوي مع تعقيدات المجتمع العراقي وتفصيلاته الثقافية والاجتماعية والسياسية.

لهذا كلّه، تبقى الصحيفة أكثر الوسائل الاعلامية أهمية لدى العراقيين. وقد يكون هذا هو السبب في أن البعض من أحفاد مالكي الصحف العراقية القديمة بدأوا يفكرون في إحياء صحف آبائهم، ومنها صحيفة «البلاد» التي امتلكها في العهد الملكي الصحافي العراقي المرحوم رفائيل بطي.

في المحصلة النهائية، يمكن القول إن اعلام ما بعد الحرب في العراق يعيش حالاً من الازدحام والحزبية وإختلاط الأصوات. وما يزيد من مصاعبه سوء الحال الأمنية والمعيشية في البلد. لكن مع هذا، يصح القول إنه إعلام واعد، بل وقادر على تقديم نموذج جديد لحرية الاعلام في العالم العربي في حال استعادة العراق لعافيته الاقتصادية والسياسية، وبقائه، أي الإعلام، بصحفه وتلفزيوناته وإذاعاته، بعيداً من سطوة الحكومات والدول: عراقية وطنية كانت أو أميركية محتلة.

---

* كاتب كردي عراقي.